

نظرية السمات (جوردن اولبورت) Gordon Allport



الميلاد 11: نوفمبر 1897، مونتيزوما، إنديانا، الولايات المتحدة

الوفاة 9: أكتوبر 1967، كامبريدج، ماساتشوستس، الولايات المتحدة

الزوج/الزوجة: أدا لوفكين جولد

التعليم: جامعة هارفارد، Glenville High School

الأولاد: روبرت برادلي ألبرت

تعريف البورت للشخصية

(الشخصية هي ذلك التنظيم الدينامي في داخل الفرد، لتلك المنظومات السيكو فيزيقية التي تحدد أسلوبه الفريد في التوافق مع بيئته)، (الشخصية ١٩٣٧)

تحليل التعريف

التنظيم الدينامي في داخل الفرد، لتلك المنظومات السيكو فيزيقية التي تحدد أسلوبه الفريد في التوافق مع بيئته

والمقصود وجود تفاعل مستمر ومتبادل بين اجزاء هذا التنظيم
أي تغير ونمو وتطور وليس ثبات مطلق

والمقصود بالمنظومات السيكو-فيزيقيه هو وجود العقل والجسم

العقل يعني به الجانب النفسي، والجسم الجانب الفيزيقي. ولكنهما يعملان في تناغم كوحدة واحدة.

ونعني بالتوافق مع البيئة

أي ان الشخصية يمكن ان تتشكل وفق المواقف البيئية كي تتوافق مع تلك المواقف، ولكن يتم كل ذلك من الجانب

الداخلي للشخصية اذ يتم التركيز على التفاعل الدينامي بين مكونات الشخصية الداخلية.

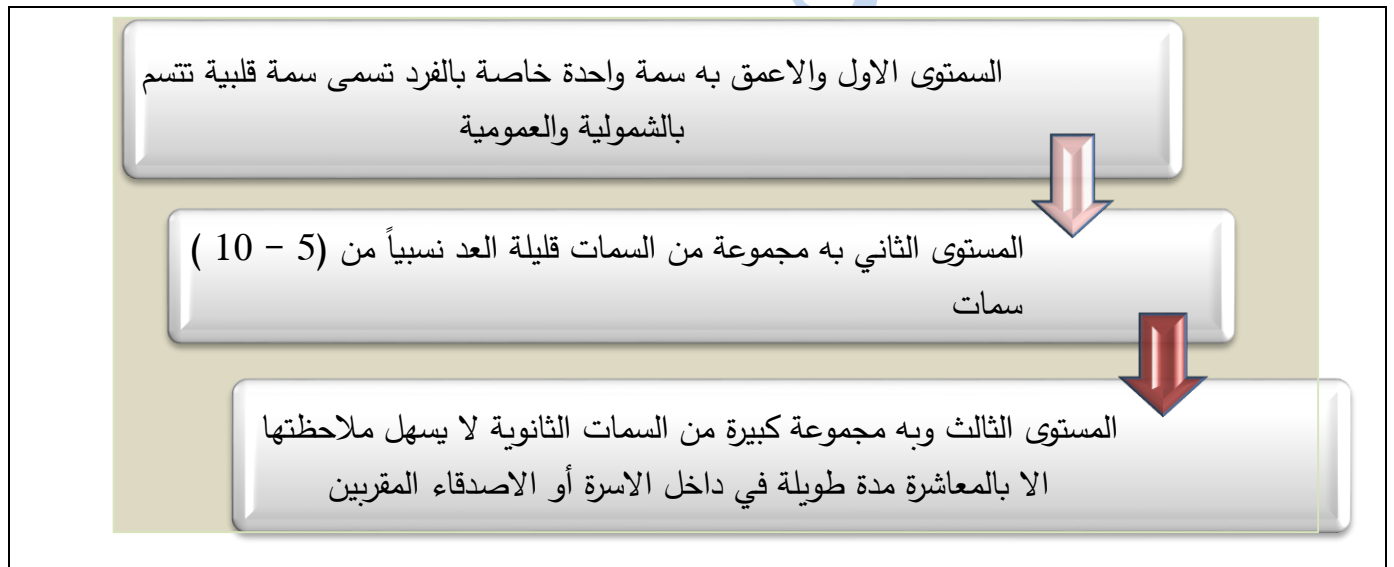
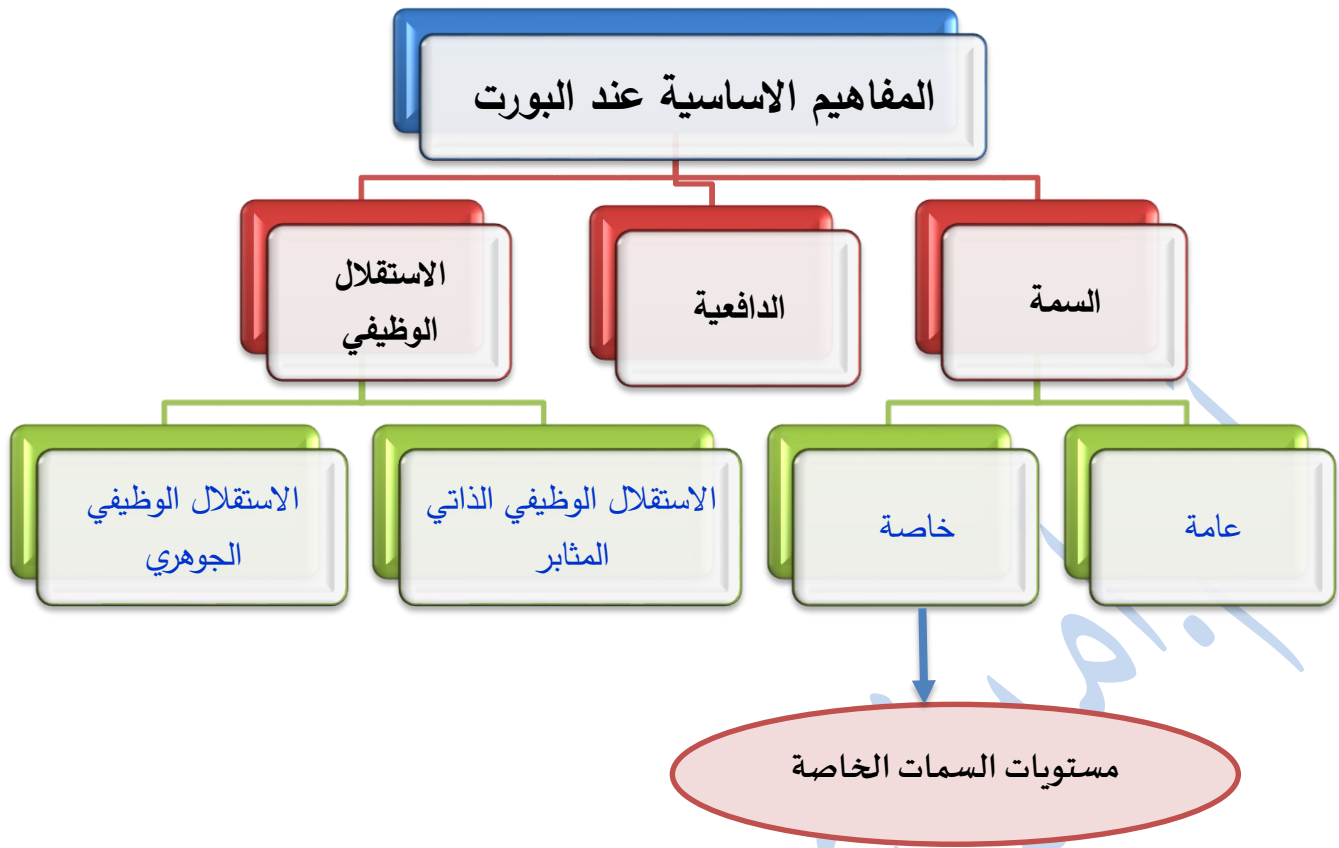
(1) الجانب اللاشعوري في الشخصية لا يؤدي دورا مهما في الاقل في شخصية الراشد السوي، اذ ان الراشد السوي ينجز وظائفه وانشطته بأساليب عقلانية واعية مدركا للكثير من المؤثرات التي تحركه (وهنا يختلف البورت عن فرويد).

(2) ان الحاضر هو الالهة بالنسبة للشخصية، والكائنات البشرية ليست سجيئة صراعات الطفولة وخبراتها، فالحاضر هو الذي يوجه أكثر من فعالية الماضي (هنا يختلف ايضا عن فرويد).

(3) اهتم البورت بدراسة الشخصية بالمنهج الايديوجرافي (المنهج الفردي) Idiographic وتتسم الدراسة في هذا المنهج بالعمق والشمول لحالة فريدة ومتميزة، وهذا المنهج طبيعي في تناول الحالات بالطريقة الإكلينيكية، وهو يختلف عن المنهج الناموسي Nomothetic الذي يهتم بدراسة اجزاء معينة مشتركة على عينات كبيرة من الافراد، كي يصل الى القانون العام لأداء الفرد والمهم في كل الاحوال هو عنصر (التواتر) او التكرار إزاء الظاهرة المراد دراستها التي تتوزع عادة وفق المنحنى الاعتدالي (الجرسي، الناقوسي).

يعارض البورت دراسة الشخصية من خلال البيانات المتجمعة، ولا يهتم بما هو شائع بين الافراد اذ يتم التركيز على التفرد في الشخصية، ومع انه يسير هنا في منهج فرويد الكلينيكي الا انه يختلف في تصويره عن السواء والمرض او السواء والشذوذ اذ يعدهما البورت فئتين متباينتين ويوضح هذا تأثره بالمنهج الارسطاطالي الذي يجمع الظواهر في صورة فئات. كما يشير البورت ايضا الى أن الطفولة تتباين (أي تختلف) هي والرشد بنفس النظرة الفئوية في الوقت الذي يعدهما فرويد سياقاً واحداً، كما سبق ان ذكرنا ايضا لان هذا هو المنهج الجاليلي الذي يفكر بلغة السياقات.

(4) يعارض البورت الاستعارة من العلوم الطبيعية، ويرفض التجريب واجراء الممارسات المعملية (المختبرية)، اذ يدعو دائما لفصل العلوم الانسانية عن العلوم الطبيعية، وفصل المنهج المستخدم في كل منهما. والشخصية في تصويره لا يمكن فهمها او دراستها بإيجاد القوانين التي يمكن تفسيرها، بل يمكن فقط فهمها عن طريق دراسة.



السمة Trait

يعد البورت السمة الوحدة الطبيعية natural unit لوصف الشخصية، وقبل صدوره كتابة المشهور عام ١٩٣٧، قام في عام ١٩٣٦ مع اودبرت Odber بتجميع عدة الالف من الكلمات ترمز الى السلوك الناتج عن الناس (تزيد عن ١٧ ألف كلمة) صنفها واختصرها، وازال منها الكلمات التي تمت الى حالات مزاجية مؤقتة، ومتشابهة، واستبعد ايضا الكلمات التقويمية (ذات المعيار الحكمي)، وبقي لدهما حوالي ٤٥٠٠ كلمة كلها قاصرة على وصف السلوك.

وفي الكتاب المذكور اعلاه، تعد السمة منظومة نفس عصبية تخص الفرد. هذه المنظومة لها القدرة على نقل العديد من المنبهات المتعادلة من الناحية الوظيفية، وتهدف الى التعبير عن السلوك التوافقي، وهي موجودة داخل الشخصية، -- وليست من خيال الملاحظ -- وهذه المنظومة يمكن ملاحظتها من الخارج عن طريق السلوك، فسمة العدوان مثلا تلاحظ من خلال سلوك الفرد العدواني، **في البداية قسم البورت السمات الى عامة وخاصة:**

العامة/ هي التي يشترك فيها جمع من الناس في اية ثقافة، وهي تجريدات abstracts تعكس ما هو شائع من مفاهيم وافكار وعادات وقيم اجتماعية، وهي خاضعة للضغوط الاجتماعية لمسايرة الفرد لها. هذا النوع من السمات لم يوله البورت اهتماما، ومن ثم لا يعدها سمات اساسية.

الخاصة/ الفردية فقد أطلق عليها مصطلح (استعدادات شخصية) Personal dispositions وهي منظومات نفسية عصبية تعمل على تحريك السلوك وتوجيهه في اتجاه ما. ويمكن بالملاحظة الدقيقة لفترة زمنية طويلة لسلوك فرد ما، ان يلاحظ هذا الانتظام في طريقة استجابة الفرد للمنبهات المختلفة في المواقف المتشابهة والمتباعدة في ضوء مؤثرات بيئة الفرد وثقافته.

قسّم هذه السمات على ثلاث مستويات:

1. **المستوى الاول** والاعمق وبه سمة واحدة خاصة بالفرد **ليس بالضرورة كل فرد** تسمى سمه (قلبية) Cardinal trait وتتسم بالشمولية والعمومية، وهي توجه الفرد وتسيطر على سلوكه وكأنها الحاكم الامر الناهي بالنسبة للشخص، مثل سمة السادية Sadism (التلذذ بإيذاء الاخر والاستمتاع بذلك)، والمازوشية Masochism (التلذذ بالإيذاء من الاخرين والاستمتاع بذلك).
2. **المستوى الثاني** وبه مجموعة من السمات قليلة العدد نسبيا من (٥-١٠) سمات على الاكثر، وتتضمن خصائص سلوك هذا الفرد ويتكرر التعبير عنها في مواقف متباعدة، وتسمى بالسمات المركزية Central traits وتخضع على سلوك الفرد مثل العاطفي Sentimental والعدواني Aggressive والساخر Lronical.
3. **المستوى الثالث** وبه مجموعة كبيرة من السمات الثانوية Secondary traits لا يسهل ملاحظتها الا بالمعايشة مدة طويلة (في داخل الاسرة الواحدة) او الاصدقاء المقربين.

ويمكن تجميع محددات السمات لديه في النقاط

- (1) السمة أكثر عمومية من العادة habit ولها أكثر من وجود اسمي لأنها موجودة في داخل الشخصية.
- (2) تؤدي السمة دوراً دينامياً، وهي منفردة مستقلة ومتفاعلة هي وغيرها من السمات التي تدفع السلوك باتجاه معين.
- (3) يمكن ملاحظة نتائج السمة وقياسها بالوسائل السيكمومترية العادية، (يمكن قياس السلوك الانطوائي الذي يعبر عن سمة العدوان وهكذا)
- (4) قد ينتج عن الفرد أنواع غير متوقعة من السلوك في ظروف خاصة، تتناقض ما يوصف به عادة من سمات، فقد نجد الفرد المتسامح في مواقف كثيرة، جامداً متصلباً في موقف ما، وقد نجد الشخص العدواني في مواقف كثيرة عطوفاً في موقف معين وهكذا.
- (5) تعد السمات مفاهيم لوصف السلوك، وليست مفاهيم لتفسير السلوك. ويضيف بيشوف Bishof عام (١٩٦٤) في كتابه (تفسير نظريات الشخصية) Interpreting personality theories اضافات لهذه المحددات من وجهة نظر البورت تتمثل في ان مفهوم السمات بوصفها وحدات Units. يساعد على تفسير الثبات الذي تتسم به الشخصية، ويمكن للسمات المكتسبة ان تصبح وحدات اساسية دافعة ويؤدي هذا الى مدخل جديد قدمه البورت تحت مفهوم الاستقلال الوظيفي ويعد مفهومهما مهما من المفاهيم الاساسية عند البورت.

الاستقلال الوظيفي: Functional autonomy

يعبر هذا المفهوم عن سلوك ما يؤديه الكائن الحي لتحقيق هدف معين، او لمواجهة موقف خاص، وهذا السلوك نفسه يمكن ان يصبح هدفاً في حد ذاته بعد ذلك وبمعنى اخر ان هناك ميلاً لدى الكائن الحي لممارسة سلوك معين حتى اذا غاب المبرر الاصلي لأداء هذا السلوك، ويمكن ان نميز بين نوعين من الاستقلال الوظيفي :

(1) الاستقلال الوظيفي الذاتي المثابر preservative Functional autonomy

هذا السلوك متواجد في الانسان والحيوان على السواء (خاصة الثدييات)، ويتضح هذا النوع من السلوك في الكثير من الاداءات والايقاعات الحركية المتكررة، وكأنها افعال منعكسة بدون مثير، فقد لوحظ في إحدى التجارب على الفئران في متاهة انها كانت تحاول مسرعة اجتياز المتاهة للحصول على الطعام في نهاية الممر لإشباع حالة الجوع لديها. وبعد ان تم اشباع حالة الجوع، كانت الفئران تحاول مسرعة ايضا اجتياز المتاهة ليس للحصول على الطعام لأنها اشبعت فعلاً، ولكن تكرار السلوك هنا يدل على انه ليس غائباً الا إذا اعتبرنا ان التسلية غاية في مثل هذه الحالات. والمقصود من وجهة نظر البورت ان السلوك لم يعد يحقق هدفاً بيولوجياً (إشباع الجوع، ولم يحدث له انطفاء) extinction.

2) الاستقلال الوظيفي الجوهري Propriate Functional autonomy

يعد البورت النوع الثاني من السلوك منظومة مفتوحة open system والتنظيم داخل هذه المنظومة على مستوى أرقى من النوع الاول من السلوك. وتعد هذه المنظومة بمثابة القوى الدافعة الكامنة لما يكون قد تم اكتسابه من اهتمامات و(ميول) interests، واتجاهات attitudes، وعواطف sentiments، وقيم values. وبمعنى آخر كل ما تم استدخاله في الفرد وأصبح نمطا فريدا له. وقد أطلق البورت على هذا النوع من السلوك في كتاب الصيرورة Becoming عام 1955 أسم الدوافع الجوهرية propriate motives الانا والذات Ego or self.

يستخدم البورت هذين المصطلحين بطريقة مترادفة. وسبب الترادف يرجع الى انهما مفهومان غير محددين بوضوح، الا انه يعتقد ان بعض الافكار، او الافعال، أكثر قدرة في كشف الذات الجدلية (الخلافية) التي تتصل بطبيعة الانسان وطبيعة الروح والعقل، ومفهوم الحرية والقهر، والخلود.... الخ ويرى البورت ان هذه الصعوبات لا ينبغي لها ان تغفل هذا المفهوم لمجموعة من الاسباب:

- 1) المعيار الوحيد الصادق لوجود الشخصية ووحدها يكمن في واقع الامر بإحساسنا بذواتنا.
- 2) تبقى كل النظريات التعلم ونظريات التعلم ونظريات الدوافع قاصرة، إذا لم تستطع الكشف عن مفهوم الذات في الشخصية، لأنها هي التي تتعلم وهي التي تدفع بالشخص نحو غاياته.
- 3) يكمن الدور الاساسي في علم النفس في تقديم فكرة واقعية محكما عن معنى الذات، اذ يسهم في ان تتبلور من خلاله الرؤى الفلسفية.

ويختلف مفهوم الذات عند البورت عن المفهوم المطروح عند فرويد. فالذات او الانا جزء من عملية دينامية ذات قوى ايجابية، تؤدي دورا في توحيد جميع عادات وسمات واتجاهات ومشاعر ونزعات الشخصية، ولكنها في مفهوم فرويد منبثقة عن (الهو) وتحاول التوفيق بين الهو الساعي لتحقيق مبدا اللذة، والانا العليا الساعية لتحقيق المبادئ الاخلاقية، محققة تناغما مع مبدا الواقع.

وقد اقترح البورت مفهومين بديلاً لكلمتي (الانا) او (الذات) سماه (الجوهر) Program.

ويقصد بـ (الجوهر): جميع وظائف الذات او الانا وتتضمن الاحساس البدني، وهوية الذات، وتقدير الذات، وامتداد الذات، والتفكير المنطقي، وصورة الذات والكفاح الجوهري، والوظائف المعرفية.

و(الجوهر) لا يولد مع الانسان ولكنه ينمو مع الوقت ففي الثلاث سنوات الأولى من حياة الفرد ينمو (الجوهر) بالاحساس بيدن الطفل (الاحساس بالجسم) ثم الاحساس بالذات (اسم الطفل) ثم نجاحات الطفل في المشي والكلام وهو ما يعبر عنه بتقدير الذات self-esteem، وتتطور بقية المظاهر بعد ذلك، حتى اذا ما وصل الفرد إلى مرحلة المراهقة يكون جوهره قد اكتمل ويعمل من خلال الشخصية بطريقة فريدة ومتميزة.

الدافعية: Motivation

يعد البورت هذا المفهوم من أعقد المفاهيم في علم النفس عامة وفي الشخصية خاصة، وللدافعية شروط هي :

- 1 - ان الدوافع تعمل «هنا والآن». وبمعنى آخر إنه يرفض مفهوم الدافعية المنبثق من الماضي.
- 2 - التركيز في الدوافع الشعورية وهو لا ينكر الدوافع اللاشعورية ولكنها متفاعلة بالضرورة هي والدوافع الشعورية في صورة واحدة ولا يمكن التفسير باعتبارها دوافع منفصلة.
- 3 - العناية بدينامية العمليات المعرفية كالتفكير والتذكر، إذ أن النظريات القديمة التي فسرت الدوافع أحياناً بالغرائز أو الطاقات الكامنة في الهو قد اضعفت دور العمليات المعرفية الواعية. ويرى البورت أن العقل والرغبة يمتزجان معاً في واقع ويسميه النية أو القصد intention.
- 4 - لابد من التمييز بين الدوافع العيانية concrete motives والدوافع المجردة abstract motives. فالدافع العياني هو ما يتمثل في رغبة مباشرة كدافع الشخص نحو الالتحاق بكلية الطب ليصبح طبيباً، في الوقت الذي يمكن أن يفسر فيه هذا الدافع تفسيرات عدة مثل رغبة جنسية مكبوتة بالنسبة لفرويد إذا حاول تحويله من دافع عياني إلى دافع مجرد.